٤٥٢
(مُحمَّدُ بن صَالح العِصَامي الصَّنعاني)[١]

ولد في سنة ١١٨٨ ثمانٍ وثمانين ومائة وألف. ثم أخذ عن جماعة من أهل العلم، وقرأ عليَّ في الحديث والأصول، وله ذهن وقّاد وفكر مُنقاد، وحافظة باهرة وفاهمة في الدقائق ماهرة، واطلاع على التاريخ فائق وحفظ للأشعار رائق، وله يد في الترسل قوية وقريحة في النظم لوذعية. وبالجملة فهو معدود في العلماء والأدباء، وهو من لا يملّ جليسه ولا يسمح بمفارقته أنيسه. وله إليّ مطارحة نظمية ونثرية لا يقدر عليها سواه من أمثاله ولا من فوقهم، وهي مودوعة في مجموع أشعاري ومكاتباتي. ومع هذا فهو في عنفوان الشباب وأيام الحداثة، وقد تدرَّب حتى قوي إدراكه في علم الآلات والكلام بحيث ينبهر منه عند المذاكرة كثير من أكابر العلماء. جمل اللَّه بوجوده وكثر في الناس من أمثاله. ومن جملة ما كتبه إليّ في طيّ رسالة فائقة قوله: [من الطويل]

فَلا عَدِمَتْ مِنْكَ المعالي جَمالَها ... فَرَوْضُ رُباها في بَقائِكَ مُونِقُ[٢]
وَلا فَقَدَتْ مِنْكَ الليالي ثِمَالها ... فَغَيْثُ نداكَ الجمّ فيهنَّ مُغدِقُ[٣]
وَلا فَقَد المحرابُ مِنْكَ أنيسَهُ ... فَلألاؤُه من نورِ وَجْهكَ مُشرِقُ
ولا فَقَدتْ منكَ المنابرُ زَيْنَها ... فَأعْوادُها من وطئ رِجْلك تُورقُ
ولا فَقَدتْ صَنعاءُ مِنْكَ عَميدَها الـ ... ـذي جَاهُه سُورٌ عليها وخِنْدَقُ
مُفَرِّجُ غمَّاها وكاشفُ كَرْبها ... إذا القومُ من صُمِّ الحَوادثِ أطْرَقوا
تَرى العينُ مِنهُ واحداً وهو واحدٌ ... كمالاً ولكنْ بين جَنْبيهِ فَيْلَقُ[٤]
فلم يُرَ إنْ أعْيَى المُفوَّهُ ساكتَ الجَـ ... ـوابِ ولا الثرثارةُ المُتفيْهِقُ[٥]
مَكارم يُعْيَى مِصْقَعٌ عنْ أقلِّها ... وَيُحْصَرُ مِنْطيقٌ ويُفْحَمُ مُغلقُ[٦]
هُو الشمس إشراقاً أيجهل مغربٌ ... بِمَوْضعِه منْهُ ويجعل مَشْرقُ

---

(١) ترجمته في: الأعلام: ٦/ ١٦٣؛ نيل الوطر: ٢/ ٢٧٤.
(٢) مُونِقٌ: جميلٌ مُعجبٌ.
(٣) الثِّمالُ: الملجأ والغِياثُ. الندى: السَّخاء والجُود. الجَمُّ: الكثير. المُغْدِقُ: الكثير القَطْر.
(٤) الفيلق: الكتيبة العظيمة الكثيرة العدد.
(٥) المُفَوَّهُ: الفَصيحُ اللَّسِنُ. المُتفَيْهِقُ: الذي يَتوسَّع في كلامه ويَتَنطَّعُ.
(٦) يَعْيَ: يعجز. المِصْقَعُ: البليغ المُتفنِّنُ في مذاهب القول. الحَصَرُ: العجز عن الكلام. المنطيق: البليغ، الفصيح. يُفْحَمُ: يسكت أو يُغلبُ بالحُجَّة.

وهذا مما يستعظم من أكابر الشعراء المتقدمة عصورهم فكيف منه[1]. ومما كتبه إليَّ قوله: [من مجزوء الكامل]

يا أيها البدرُ المنير ... وأيها الصَّدرُ الكَبيرْ
يا خَيْرَ من فَخَرتْ بِطَلـ ... ـعَتهِ المنابرُ والسّرِيرْ
مَنْ لا يُضاهي حِلْمهُ ... الجبلانِ ثورٌ أو ثَبيرْ
مَنْ لا يُساوي جُودَهُ ... بَحْرٌ ولا سُحب غَزيرْ
مَنْ لا يداني عِلْمَهُ ... أحدٌ قديم أو أخيرْ

٤٥٣
(مُحمَّدُ بن طقلقشاه الهندي ملك الهند)

أخذ المملكة عن أبيه، وكان أبوه تركياً من مماليك صاحب الهند، فتنقل إلى أن ولي السلطنة، واتّسعت مملكته جداً فكان منها السند وسائر أقطار الهند. وفتح فتوحات كبيرة حتى يقال: إن جملة ما فتح تسعة آلاف قرية. وكان جواداً متواضعاً عالماً بفقه الحنفية مشاركاً في الحكمة. ومن محبته للعلم أنه أهدى له شخص عجمي الشفاء لابن سيناء بخط ياقوت الحموي في مجلد واحد، فأجازه بمال عظيم، يقال: بأن قدره مائتا ألف مثقال أو أكثر. وورد كتابه على الناصر صاحب مصر في مقلمة ذهب زنتها ألفا مثقال مرصعة بجوهر قُوِّمَ بثلاثة آلاف دينار. وجهز إليه مرة مركباً قد أُملي من التفاصيل الهندية الفاخرة الفائقة وأربعة عشر حقّاً قد مُلئت من فصوص الماس وغير ذلك، فاتفق أن رسله اختلفوا فقتل بعضهم بعضاً، فنمى ذلك إلى صاحب اليمن، فقتل الباقين بمن قتلوا واستولى على الهدية. فبلغ الناصر فغضب وكاتب صاحب اليمن في معنى ذلك وجرى ما يطول شرحه. وكان مع سعة مملكته عِنّيناً لأنه كُوي على صلبه وهو حَدَثٌ لعلة حصلت له. ويقال: إن عساكره بلغت ستمائة ألف، وأنه كان له ألف وسبعمائة فيل، وفي خدمته من الأطباء والحكماء والعلماء والندماء عدد كثير لم يجتمع لغيره. وكان يخطب له على منابر بلاده: «سلطان العالم إسكندر الزمان خليفة اللَّه في أرضه». وكانت (وفاته) في حدود سنة ٧٥٢ اثنتين وخمسين وسبعمائة.

---

(١) قيل: توفي سنة ١٢٦٣هـ.